التطور التاريخي للمصطلحات الأدبية في اللغة العربية
مصطلح «القول» في التفاسير نموذجاً

أ. أنوار فلواتي

تقديم:

إذا كان أكبر حدث في تاريخ اللغة العربية هو نزول القرآن بألفاظها وما أحدثه من توثيق وبعث بلاغي لمعانيها، فإنها تتعرض كغيرها من اللّغات بصفتها كائناً حياً متفاعلاً مع ما حوله من حاجات ووظائف التعبير اليومي في المسار التنموي الإنساني، إلى نوع من الجذب أو العسف الاصطلاحي، يعرضها للفقدان التدريجي لأصولها الأدبية، ويصيرها لغة تقنية تتماهى مع غيرها من اللغات أو اللهجات في خدمة المعيش اليومي للشعوب، دون خصوصية ثقافية أو حضارية، في إطار الكيان اللغوي المتجه نحو العولمة.

ويزداد مراس هذا الجذب شراسة عندما يكون أهل اللغة مستهلكين للمصطلحات الوافدة، غير منتجين لها في إطار الريادة الفكرية والعلمية المطلوبة للركب الحضاري. فتكون هنا اللغة في وضع استدراك اصطلاحي مفروض زماناً وموضوعاً، يلوي أعناق المفاهيم والجذور اللغوية، ويسعى لتحقيق التوافق بين النسقين اللغوي والتنموي في الحاضر والمستقبل، دون الأدب الواجب مع أدبية اللغة وتاريخها وقدرتها على التوسع المفهومي المستوعب لكل طارئ.

ونود في هذه المشاركة، في مؤتمر اللغة العربية، أن نترك اللغة العربية تتحدث عن نفسها، وهي تسرد معاناة التطور الاصطلاحي والمفهومي لألفاظ عاشت في أحضان اللغة الأم، كالطفل المدلل بين الإعجاز البياني، والقريحة الشعرية، وضروب البلاغة الأدبية، فإذا بها تنسلّ اليوم خارج الحصن اللغوي في مباهاة اصطلاحية تنطلي على الناس فيها خدعة مواكبة التنمية، ومسايرة الركب الحضاري، وتباشر فيها عملية الاستنساخ حسب الحاجة للمصطلح المعلّب الذي يفقد اللغة ذوقها وأدبيتها.

ومن الأمانة المنهجية اخترنا لهذا الأمر خير حصن لغوي للغة العربية وهو «القرآن الكريم»، واخترنا كنموذج أجرأ لفظ على الخطاب اللغوي فيه وهو لفظ «القول»، واخترنا في البعد الحضاري للقضية أوسع تقسيم اصطلاحي يكوّن فيه القول مبعث النهوض الإنساني في عالم الأدب والثقافة والمعتقد وصناعة التاريخ من خلال نظرة الفرد للوجود كما تعلّمها بلغته، واخترنا أوضح منهج لتقصي الموضوع عبر مسالك التطور الأدبي للمصطلح من خلال أقرب المصادر للورع اللغوي في تناول المعاني وهي التفاسير.

إن اللغة في أصل استعمالها العملي تتماهى مع «القول» مهما تخصص علمياً أو كان لغواً من القول، لكن أدبية اللغة في استيعابها للمقصود، تضفي جمالاً إضافياً على العلاقة الإنسانية المبنية على القول أصلاً، وتحول العبء التنموي إلى نزهة حضارية يمارس فيها إشباع الهوية الثقافية للمجتمعات، وتغرس من خلالها الأبعاد العقدية لعلاقة الإنسان بربه وبالوجود كله من حوله. إن من غفل عن النظام اللغوي للآيات القرآنية، أو تناوله تناولا قاصراً عابراً، لا يمكنه أن يستمتع بجمال القرآن، ولا يمكن أن يدرك ميزته التي تخصه من بين سائر أنواع الكلام.

إن سر إعجاز القرآن هو هذا النظام الذي جعل من تلك الآيات التي لا نرى فيها من ضروب البلاغة إلا التجنيس والطباق والحذف والتكرار وما شابه ذلك، لكنها تجعلنا نرى فيها عالما عجيبا من الروعة والجمال، وبحرا

زاخرا من المعاني والحكم؛ بحيث تهتز لها النفس اهتزازا وتمتلئ بها بهجة وسرورا، وتقشعر منها الجلود، ولا تدري كيف تعبّر عما تجد فيها من لطائف البلاغة وروائع البيان.

إن التقلب اللغوي للفظ «القول» في نص الوحي وتفاسيره، بين معان عدة، وسيلةً وبياناً ونعتاً ومشتقات وضمائم، بين القول الغليظ والقول الليّن، وبين القول الفصل والقول البليغ، وغير ذلك من أصناف القول التي سنتعرض لها، يشرح الثراء الأدبي للألفاظ الذي يجب على وارثي هذه اللّغة التمسك به في معترك الأمن اللغوي والحضاري. وبهذا تصير أدبية اللغة مطلباً شعبياً يمارسه كل فرد في الأمة.

إن هذا البحث الذي يعرض أكثر من عشرة معان أدبية للفظ «القول» في لغة القرآن الكريم يدعو إلى التمسك المنهجي بأدبية اللغة العربية وقرآنيتها، كأداة حفاظ على كيانها الوظيفي في بث روح الانتماء الحضاري لعالم العروبة والإسلام. والمثال العملي يأتي من نص القرآن الذي لم يأت على نسق الكتب الموضوعة، إذ ليست فيه مباحث موضوعية مرتبة لها مقاصد وأغراض في فصول وأبواب، وإنما كان مشتملا على سور، وكل سورة منها احتوت على آيات متعددة وكل آية أو آيات في غرض، فهذه في الوعظ وتلك في الزجر، وهذه قصة وتلك للنهي أو الأمر، وهذه في العقيدة وأخرى في الأحكام، وتلك في التشريع، وهذه في الأخلاق وهلمّ جراً، لكنها تنخرط في نسق لغوي يستعمل كله «القول»، ويخدم بعضه بعضاً، ولا سبيل لتأويله من غير اللغة الأم.

١- أهمية القول في اللغة العربية والنص القرآني

أ- الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح «القول».

إن الغرض من هذا التقصي اللّغوي هو محاولة وضع لفظ «القول» ضمن المعنى العام للجذر اللغوي الذي ينتمي إليه، وتجميع الاشتقاقات المنتمية إليه، وتتبع معانيها بالشكل الذي يساعدنا في الوصول إلى الأصل الدلالي لهذا الجذر. ونلاحظ أثناء دراسة لفظ القول في المعاجم، كثرة الاشتقاقات المنتمية إلى جذره اللغوي بالمقارنة مع المشتقات المتداولة في الاستعمال عموما، والواردة في القرآن الكريم على وجه الخصوص. ولذلك قمنا برصد هذه الاشتقاقات وتجميعها من مختلف المعاجم المعتمدة، وحاولنا أن نصنّفها ونتتبع معانيها عسى أن تساعدنا في الوصول إلى المقصود من هذا البحث اللغوي ألا وهو معرفة المدار والمأخذ المتعلق باللفظ قيد الدراسة.

وقد أورد ابن فارس في هذا الجانب قوله: «القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقال كلّمه وهو القول من النطق،يقال: قال يقول قولاً. والمقول اللسان. ورجل قولة وقوال: كثير القول»١

«القول: الكلام، أو كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا، الجمع أقوال، وجمع الجمع: أقاويل.

قال يقول قولا وقيلا ومقالا ومقالة. أو القول في الخير، والقال والقيل والقالة في الشر. أو القول مصدر، والقال والقيل اسمان له»٢

ب: مصطلح القول في القرآن الكريم

إن المتدبر لآي الذكر الحكيم يجد العديد من الألفاظ والمصطلحات التي لها علاقة وطيدة بالدراسات الأدبية والنقدية بل والتي كان لها التأثير الكبير في نمو هذه الدراسات وازدهارها. ونظراً لتعذّر الإحاطة بكل المصطلحات الأدبية الواردة في القرآن الكريم في هذا البحث، فإننا سنقتصر على تناول مصطلح القول باعتبار أن القول يضم كل فنون القول التي عرفها الإنسان، بغض النظر عن الاختلاف في المفهوم الذي يكتسيه هذا المصطلح، تبعا لاختلاف الأزمنة والشعوب. وبدراسة مصطلح القول يتبيّن بجلاء أن القرآن الكريم حدّد معظم أنواعه، من القول الحسن والسديد إلى القول الزور. ويرتكز هذا التحديد على عدد من المعايير، منها ما يرتبط بالمقام، ومنها ما يرتبط بالقائل، ومنها ما يرتبط بالمقول له، ومنها ما يرتبط بالقول في حد ذاته. و يسعى هذا البحث لإعطاء عرض موجز للدراسة المصطلحية للفظ القول في النص القرآني والتطور الذي عرفه من خلال التفاسير. ومن الناحية المنهجية ارتكز هذا الجهد بعد تجلية المفهوم اللغوي للقول من خلال المعاجم اللغوية، على بيان مفهومه الاصطلاحي، ثم تصنيف صيغه في نصّ القرآن الكريم ومن

خلال التفاسير، وترتيب نتائج ذلك التصنيف. كل هذا من أجل الوصول إلى إبراز المعاني الاصطلاحية للفظ القول حسب سياقاتها في مختلف مواضيع وآيات القرآن الكريم. ومن الناحية المنهجية تم هذا في أربعة مراحل: التعريف بوضع لفظ القول ضمن المعنى العام للجذر اللغوي الذي ينتمي إليه، ثم الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح القول، ثم تجميع الاشتقاقات المنتمية إليه، وأخيراً تتبع معانيها حيث سنتمكن من التعرف على الأصل الدلالي لهذا الجذر. وسيسمح هذا برسم خارطة الدلالة الاصطلاحية لتعريفات القول في القرآن الكريم، ويمكّن من العرض الوصفي لموارد القول في القرآن الكريم، بجانب الأبعاد الدلالية لكل هذه الموارد مع عرض لنماذج من أنواع القول ومعانيه ومشتقاته ونعوته وضمائمه.

ج- مصادر الأمن اللغوي بين العربية والوحي

إن أخطر مهمة لأي لغة هي أن ترشّح لتكون مطية للوحي، إذ يعني ذلك بالنسبة لها أن تكون قادرة على تلقي معانيه واستيعابها في وعائها اللغوي وحفظها وتحصين مراميها وأحكامها من أي تأويل أو تبديل أو تحريف مع مرور الزمن، وتطوّر الحضارة، وتبدّل الاصطلاح وفهم التديّن . وإذا كان للغة دور حفظ القول أياً كان مصدره فإن استقصاء مادة القول في القرآن الكريم تشير إلى أن مصدر القول يتوزع بين ثلاثة مصادر أساسية ينسب إليها القول وهي القول الإلهي، والقول البشري، وقول غير ذلك من المخلوقات كالملائكة والجن والحيوان.

مصدر القول الأول: القول الإلهي الصادر عن الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلاً، وقد تبيّن أن هذا النوع من القول فقط هو الذي يتمكّن من جمع العناصر اللغوية والاصطلاحية والشرعية الأصيلة لربانية القول في النّاس. كما وجدنا أن أغلب القول الوارد في القرآن الكريم هو من هذا النوع، إذ يصدر عنه تعالى إلى أنبيائه ورسله وبني آدم وسائر مخلوقاته من نحل ونارٍ وغيرهما، وحياً أو من وراء حجاب. ومن هذا الباب يمكن الكلام عن الأمن اللغوي المتبادل بين العربية والوحي، ذلك لأن حفظ الوحي يحفظ اللغة الحاملة له، كما أن حفظ اللغة العربية يعين على فهم الوحي وحسن الاستنباط منه والانتعاش اللغوي والحضاري من خلاله.

أول مظاهر التأمين اللغوي للقول، مصدريته من عند الله والوعد بحفظه، فيحصل بهذا تأمين القول لغة ودِيناً من أن يتسرب إليه تحريف، فصاحب القول جل وعلا يبيّن في أكثر من موطن عبر القسم تعظيما لهذا القول، وتعريضاً أيضاً بعظمة صاحبه وقوته وإحاطته، وقسمه أيضاً بالآيات الكونية يدل على عظمة صاحب القول، وتنسحب تلك العظمة نفسها على القول نفسه. (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) الواقعة ٧٥- ٨٠. (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر ٩.

أما ثاني مظاهر التأمين اللغوي للقول فيتعلق بمن يحمله للناس، وفيه نوعان من حملة الوحي: النوع الأول من حملة القول في عالم الملائكة (قول جبريل: لقول رسول كريم) وتبين الآية أمانة ومكانة حامل الرسالة والتمكين له، وعدم حاجته إلى المبلّغ له، ومستوى العصمة التي أكرمه الله بما لا يحتاج فيه إلى كذب على أحد، وليست له دواعي التفكير أو الخوض في تغيير القول ابتغاء شيء عند المبلّغ لهم. حتى لا يفكر في التحريف أو يخطر على باله فإن الله ينفي عنه ذلك باعتباره أتى أصلا من موقع أعلى، وممكّنٍ له فيه، وأنه ذو قوة وذو تمكين، لا حاجة له عند البشر إطلاقا، وتبليغ القول داخل في مهمته ووظيفته، ولا ينبني عليها مع أي من الخلق شيء.

(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩))

ويجمع المفسرون على أن المراد بالقول هو القرآن، وأما المراد بالرسول

الكريم فهو جبريل – عليه السلام، والمراد بصاحبكم هنا : هو محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي صحبهم منذ ولادته وذو القوة عند ذي العرش : هو جبريل – عليه السلام – وفي إسناد القول إليه ما قد يثير شبهة أن القول منه ، مع أنه كلام الله تعالى .

النوع الثاني من حملة القول في عالم البشر، الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى. ويبيّن الله عزّ وجل في أكثر من موطن في القرآن الكريم، قدرة هذا الحامل الثاني على التلقي، وصفاء ملكاته العقلية، وأنه على خلق عظيم، وبرأه من مسّ الجن، ثم ربط حلقات القول من مرسله إلى المرسَل معه والمرسَل إليه، على أنها مترابطة في علاقاتها، وأن الحامل الثاني محمد صلى الله عليه وسلم قد باشر التعامل عن وعي مع المرسل معه (جبريل) عين اليقين. ومن ذلك قوله تعالى في أول سورة « النجم : وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧).

وللمزيد من تبرئة المبلّغ المباشر، نفى الله عز وجل أن يكون قوله منسوبا لغيره، أو مبلَّغا من قبل لمن يسترق السمع كالشياطين الذين لهم قدرة على أن يزيدوا أو ينقصوا في القول. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

مصدر القول الثاني: القول البشري الصادر عن البشر بجميع أصنافهم وأشكالهم، أنبياء ومرسلين، مؤمنين وكافرين، يهودا ونصارى، مشركين ومنافقين، وغيرهم. ولا يمكن هنا ان نستعرض كل مواطن ورود القول البشري في القرآن الكريم.

مصدر القول الثالث: القول من مصادر أخرى، فقد وردت بعض الآيات الكريمة بالإشارة إلى كون القول صادرا عن الملائكة، أو الشيطان، أو الجن أو غيرها من المخلوقات كالنمل مثلاً.

٢- صفات القول وتعريفاته في الاستعمال القرآني

كان للقرآن – كما لا يخفى– الفضل الكبير في إثراء اللغة العربية، والتوسع بها إلى آفاق جديدة في التعبير والتصوير والابتكار لمعان ومفاهيم جديدة لم تكن البيئة العربية قد شهدتها من قبل، ومادة القول من الألفاظ التي أضفى عليها القرآن أبعادا جديدة إضافة إلى ما جلّاه من معانيها التي كانت متداولة عند الناطقين بها. فقد استوعب القرآن الكريم جميع التصريفات اللّغوية لمادة القول، وعبّر عن أغلبها بمعانيها المتداولة، وصبّها جميعا في قوالب جديدة ترابطت فيها المعاني المتعددة، وانفصلت عن بعضها بعضا.

وسنحاول في هذه المساهمة أن نبيّن المفهوم اللغوي للقول من خلال المعاجم اللغوية أولاً ثم نسعى بعد ذلك لتبيان مفهومه الاصطلاحي. وفي هذا الجانب سنحاول كذلك أن نصنف صيغ القول في القرآن الكريم ونذكر المعاني الاصطلاحية للفظ القول حسب سياقاتها في مختلف آيات القرآن الكريم.

أ- تنوع صفات وعلاقات القول في القرآن الكريم

ورد القول في القرآن الكريم موصوفا بعدة صفات تبعاً للمصدر الذي صدر منه القول. ولبيان هذه الصفات نلخص الحديث عنها في نوعين أساسيين من الصفات:

صفات القول الإلهي:

ويدخل هنا ما وصفه به النص القرآني على أنه قول ثقيل، أو قول فصل، أو قول حق، أو قول صادق، أو قول موصّل وإن كان قد ورد في صيغة فعلية « وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » (القصص، ٥١) فإننا نصوغه في صيغة اسمية لاستكمال الصفة.

صفات القول غير الإلهي:

ويتضمن القول غير الإلهي صفات متعددة تتوزع بين:

- النعوت المحمودة للقول غير الإلهي كالقول الكريم، والقول الميسور، والقول الليّن، والقول الحسن، والقول الطيب، والقول السديد، وقول معروف، وقول ثابت، وقول صواب، وقول بليغ.
- عيوب القول غير الإلهي كالقول العظيم، وزخرف القول، والقول المختلف، والقول الشطط، والقول السوء، والقول العجب، والقول الظاهر، والقول المنكر، والقول

الزور، والقول الكذب.

وبجانب صفات القول نجد للفظ القول في القرآن الكريم علاقات تتوزع بين:

- علاقات العموم والخصوص: ويضم علاقة القول والشعر، والقول والقصص، والقول والحديث، والقول والموعظة، والقول والبيان، والقول والمجادلة، والقول والمحاورة، والقول والنداء، والقول والمحاججة.
- علاقات الائتلاف والاختلاف: ونجد هنا علاقات الائتلاف: كالترادف، والتماثل، والتداخل، والتعاطف أي ما عطف على القول أو عطف عليه القول، أما علاقات الاختلاف فهي: علاقة التقابل أو التضاد أو التكامل في المعنى وهناك علاقات أخرى ثانوية للقول لا يتسع المجال لطرحها.

ب- ضمائم ومشتقات القول في القرآن الكريم

يصنف البحث اللغوي أيضاً مركبات اصطلاحية وقضايا مفهومية ذات صلة بالقول في القرآن الكريم، وهي تفضي إلى إبراز ضمائم القول ومشتقاته في لغة القرآن وتتوزع كالتالي:

ضمائم القول وتنقسم إلى:

- ضمائم الوصف كقول ثقيل، قول فصل، قول حق، قول بليغ.
- ضمائم الإضافة وتشمل ما أضيف إلى القول كقول الله (عز وجل)، قول البشر، قول المؤمنين، قول شاعر، قول كاهن، قول رسول كريم، قول شيطان رجيم، كما تشمل ما أضيف القول إليه كفقه القول، وتدبر القول، وسماع القول، ولفظ القول، وكتابة القول، وإلقاء القول، ورجع القول، وإسرار القول، والجهر بالقول، والعدل في القول.
- مشتقات القول وتشمل ما يتعلق بالقيل، الأقاويل، التقول، القائل، القائلون.

٣- نماذج للتوسع الدلالي لمصطلح القول في القرآن الكريم

لا يتسع الحجم المحدد لهذا البحث بعرض شامل لنتائج الدراسة المصطلحية الخاصة بلفظ «القول» في القرآن الكريم. وسنكتفي بملخص فقط لدراسة بعض النماذج من نعوت القول البشري كما نعته النص القرآني وتناولته المعاجم والتفاسير.

١- قول كريم

ورد لفظ «كرم» في موارد كثيرة من القرآن الكريم بصيغ مختلفة تدل في مجملها على معاني الرفعة والشرف والنفاسة والحمد. و«كريم»: صفة مشبهة من الكرم بمعنى الشرف، لقول ابن فارس «الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شرف: شرف في الشيء نفسه٣، أو شرف في خلق من الأخلاق٤»٥ . والكريم في الاصطلاح، هو «الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكريم اسم جامع لكل ما يحمد»٦

أما في الاستعمال القرآني: فإن «الكرم إذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر٧ ... وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ... وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم٨ «٩. وقد جاءت في القرآن الكريم وصفا للرسول، والأجر والقرآن والزوج والمقام والكتاب والرب١٠ والملك والرزق والعرش والمدخل١١ الكريم. ووصف القول بهذه الصفة في موضع واحد ينتمي إلى القرآن المكي١٢. وقد عدّ بعض المفسرين وصف القول بالكرم «من باب وصف الشيء باسم صاحبه، أي قولا صادرا عن كرم ولطف»١٣.

٢- قول ميسور - يسر

مدار مادة «يسر» في أحد أصليها على الخفة١٤ والسهولة١٥ والغنى١٦، يقول ابن فارس : «الياء والسين والراء : أصلان يدل أحدهما على انفتاح شيء وخفته، والآخر على عضو من الأعضاء، فالأول اليسر ضد العسر»١٧ . والميسور: ضد المعسور ١٨ و«الميسور ما يسر» ١٩ ولا يكاد الاستعمال القرآني لهذه المادة يخرج عن هذه المعاني٢٠. وقد جاء القول موصوفا باليسر في موضعين اثنين ينتميان للقرآن المكي٢١

أ- ميسور

الميسور «اسم مفعول من يسر الأمر بالبناء للمجهول»٢٢ وقد وقع صفة للقول الذي يقال للفئات المحتاجة عند تعذر المساعدة المادية الآنية حيث «أمر الله» بإرفاق عدم الإعطاء لعدم الموجود، بقول لين حسن بالاعتذار والوعد عند

الموجدة لئلا يحمل الإعراض على قلة الاكتراث والشح»٢٣.

وإذا نظرنا إلى مقام ورود الآية وجدنا أنها جاءت في سياق الأمر بمعاونة ذي القربى والمسكين وابن السبيل، حيث إن استعمال كلمة «حقه»٢٤ يوحى بوجوب هذه المساعدة على القادر، واعتبار ذلك حقا وليس منة. ولهذا القول علاقة وطيدة بالوضع النفسي الذي يعيشه القائل، حيث إنه : أولا في وضع إعراض عن المحتاجين، وثانيا : إن إعراضه هذا مؤقت مشروط ابتغاء رزق من الله٢٥

ب – يسر

وصف القول باليسر بصيغة المصدر، وحذف الموصوف واقتصر على الوصف. فبعد أن خير الله سبحانه وتعالى ذا القرنين بين تعذيب القوم الذين وجدهم عند العين الحمئة، ودعائهم إلى الإسلام، اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم قائلا : أن من دعاه فأبى إلا البقاء على الظلم، فذلك هو المعذّب في الدارين، وأما من آمن وعمل بما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى، وسيقول له قولا يسرا. وصفة اليسر هنا تدل على القول السهل الذي لا يشق على مستمعيه٢٦ ، ويمكن أن يصرف إلى جهة الثناء والبشارة، بالنظر إلى عطفه على الجزاء الأخروي الذي ينتظره المؤمنون، ألا وهو الحسنى٢٧ .

٣- قول لين :

قال ابن فارس: «اللام والياء والنون كلمة واحدة وهي اللين ضد الخشونة٢٨»٢٩. و»يستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني»٣٠. وورد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم بصيغ مختلفة في خمسة مواضع٣١ لا تكاد تخرج في معانيها عما ذكر سابقا من معاني النعومة والليونة بنوعيها: الحسي والمعنوي.

وصف القول باللين في موضع واحد ينتمي إلى القرآن المكي٣٢ حيث وردت الآية ضمن المنهج الرباني التي رسمه الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام في مخاطبة فرعون، وقد تضمن تلقينات جليلة تنص على اصطناع الرفق واللين والأساليب الحسنى، من أجل الوصول إلى الغاية المرجوة، ألا وهي التذكير وإثارة الخشية٣٣.

٤- القول الحسن – (أحسن)

يقول ابن فارس «الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحسن ضد القبح٣٤ والحسن أيضا الجمال»٣٥. وقال الأزهري: «الحسن نعت لما حسن» ويستعمل الحسن في الاصطلاح للدلالة على الشيء المبهج من ينظر إليه، والمرغوب فيه، وذلك إما من جهة العقل أو الشرع، أو الهوى أو الحس»٣٦ . وأهم تحديد اصطلاحي للحسن نجده عند الشيخ أحمد نكري إذ يقول : «الحسن وكذا القبح مصدران يطلقان على على ثلاثة معان: الأول : كون الشيء ملائما للطبع ومنافراً له، الثاني : كونه صفة كمال وكونه صفة نقصان، والثالث : كون الشيء متعلق المدح في الدنيا والثواب في العقب، وكونه متعلق الذم في الدنيا ومتعلق الذم في العقب٣٧. ولا يكاد الحسن القرآني يخرج عن هذه الدلالات التي ذكرت، و»أكثر ما جاء في القرآن من الحسن فللمستحسن من جهة البصيرة». وقد ارتبط الحسن بالقول في آية مدنية واحدة هي قوله تعالى : «وقولوا للناس حسنا»٣٨.

- أحسن

أحسن اسم تفضيل من الحسن، وهو بمعناه. وقد اقترن بالقول في موضعين ينتميان إلى القرآن المكي٣٩.

بالنسبة لآية الزمر :فهي تفهمنا إذا كان اجتناب الطاغوت والإنابة إلى الله سبباً لاستحقاق البشرى فإن اتباع أحسن القول سبب في حصول هداية الله عز وجل. ومن خلال السياق يظهر أن لهذه الصفة التي وصف بها القول علاقة مباشرة بموضوع العبادة والإخلاص والإنابة والهداية٤٠. ونلاحظ أيضاً أن إسم التفضيل هنا ليس مستعملا في تفاوت الموصوف به في الفضل على غيره، وإنما هو للدلالة على قوة الوصف٤١ بمعنى أن إضافة أحسن إلى القول هي من إضافة الصفة إلى الموصوف.

بالنسبة لآية فصلت: بعد عرض موقف الكافرين ومصيرهم الأخروي، وبعد التنويه بالمؤمنين السابقين إلى الاستجابة للدعوة، لما اتصفوا به من إخلاص وتمسّك واستقامة والتفاف حول النبي صلى الله عليه وسلم، جاءت الآية بمثابة تعليق بأسلوب التساؤل الذي يتضمن التقرير الايجابي بأنه

ليس من أحد أفضل وأحسن ممن دعا إلى الله وأسلم النفس إليه وعمل الأعمال الصالحة٤٢. وقد جاء لفظ القول هنا بصيغة التمييز، والتمييز هنا صفة تبين وتفسر ما جاء بعدها، والمميز هنا معبر عنه ب (ممن)٤٣.

٥- قول ثابت

تدل مادة «ثبت» في اللغة على معنى الرسوخ والدوام، يقول ابن فارس : الثاء والباء والتاء كلمة واحدة وهي دوام الشيء»٤٤. وفي الاصطلاح لا تكاد هذه المادة تخرج عن هذه الدلالة، إذ «الثبات ضد الزوال٤٥ وقد ثبت فهو ثابت، فيه دلالة الرسوخ والاستعداد بما يكسب الشخص القوة الحسية والمعنوية إلى جانب العقل، ومنه الثبات في الحرب، والثبات في الرأي... وفيه معنى التقييد...»٤٦. والإثبات والتثبيت «تارة يقال بالفعل فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود ... وتارة لما يثبت بالحكم ... وتارة لما يكون بالقول، سواء كان ذلك صدقا أو كذبا ...»٤٧.

وقد ورد لفظ «ثبت» في موارد كثيرة من القرآن الكريم بصيغ مختلفة ومعان متعددة تعود في مجملها إلى معنى الرسوخ والثبات والدوام. وقد وردت صفة الثبات بصيغة الفاعل مرتين في القرآن الكريم اقترنت في إحداهما بالقول٤٨ وفي الثانية بأصل الشجرة التي شبهت بها الكلمة الطيبة٤٩ ، ومقام الآية يوحي بوجود أمر إلاهي بتثبيت ما أصله طيب وباجتثاث ما عداه.

هذا الإذن التكويني في سنة الله في الخلق وأمره يجعل الثابت والتثبيت مصير ما أصله طيب ليؤتى أكله كل حين٥٠ ويصعد أثره إلى الله عز وجل٥١ بعد أن يبقى فعله في الأرض وهو نفس الأمر الإلاهي الذي جعل كل ما من شانه الخبث أن يقضى في حقه بالاجتثاث فلا شيء يصعد منه إلى الله، ولا أثر يبقى له في الأرض التي اجتث من فوقها اجتثاثا.

٦- قول صواب

يقول ابن فارس : الصاد والواو والباء أصل صحيح يدل على نزول شيء، واستقراره قراره ومن ذلك الصواب في القول والفعل كأنه أمر نازل مستقر قراره، وهو خلاف الخطأ٥٢. والصواب إذن بدل على القصد والإصابة٥٣ وتجنب الخطأ٥٤. ويستعمل الصواب للدلالة على أمرين : «أحدهما : باعتبار الشيء في نفسه٥٥ فيقال هذا صواب إذا كان في نفسه محمودا ومرضيا بحسب مقتضى العقل والشرع ... والثاني يقال باعتبار القاصد إذا أدرك المقصود بحسب ما يقصده...٥٦. والصواب بهذه الصيغة لم يرد في القرآن الكريم إلا مرّة واحدة اقترن فيها بالقول في قوله تعالى : «يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمان وقال صوابا»٥٧.

وعظمة هذا المقام تأتي من كونه بين يدي الله عز وجل، وقد اصطف الملائكة والروح٥٨ في وضع نزعت فيه ملكية الخطاب ٥٩ وصار للقول فيه دلالة خاصة٦٠ وتمحضت فيه إرادة القول لإذن الله سبحانه بأي كلام كما ارتبط فيه إذن الكلام بشرط الصواب علما من الله وتوفيقا منه. وبهذا يكون القول الصواب أرقى قول يصدر من مخلوق في أرقى مقام وأجل حضرة٦١. ويترتب عن هذا أن صفة الصواب ليست شرطا سابقا لوقوع الإذن بالكلام٦٢ كما أن كل قول في هذا الموطن لا يحتمل التقييم لأنه صواب في أصل الإذن به من علاّم الغيوب لأنه يعلم ما ستقول قبل أن يأذن لك بالقول.

٧- قول بليغ

تدل مادة «بلغ» في معناها اللغوي على الوصول إلى الشيء والانتهاء٦٣ أو المشارفة عليه٦٤ ومن هذا المعنى اللغوي اشتق المعنى الاصطلاحي للبلاغة» التي يمدح بها الفصيح اللسان لأنه يبلغ بها ما يريده»٦٥

وتكاد جل المعاجم العربية٦٦ تذهب إلى جعل البلاغة مرادفة للفصاحة٦٧

وأوجزُ تعريف اصطلاحي للبلاغة نجده عند صاحب الكلّيات، إذ البلاغة عنده هي «التعبير عن المعنى الصحيح بما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان»٦٨ ونجد تفصيلا أدق منه هذا عند الراغب وعند الزبيدي مفاده أن «البلاغة : تقال على وجهين احدهما ان يكون بذاته بليغا وذلك بان يجمع ثلاثة أوصاف : صوابا في موضوع لغته، وطبقا للمعنى المقصود به، وصدقا في نفسه، ومتى احترم وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة، والثاني أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له وهو أن

يقصد القائل أمرا فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له»٦٩

والبليغ صفة مشبهة من البلاغة نعت به القول مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: «أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم، فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا»٧٠. وفي الآية إشارة تقريعية للمنافقين بأن الله يعلم ما في قلوبهم من سوء قصد وطوية، وأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم وعدم الانزعاج من موقفهم من جهة، أو بوعظهم من جهة ثانية وتأنيبهم بقول بليغ يؤثر فيهم ويجعلهم يدركون بشاعة تصرفهم.

القول البليغ إذن هو القول الذي يبلغ المقول له ويتغلغل في نفسه حتى يحدث الأثر المطلوب. فالمقام مقام حديث عن المنافقين، إضافة إلى ذكر الإعراض أولا٧١ ثم الوعظ ثانيا٧٢ ثم تقييد القول البليغ بصرفه إلى جهة (الأنفس)٧٣.

والقول هنا بليغ للاعتبارين: أولا: لبلاغته في ذاته باعتبار أمر الله بذلك يروم التأثير في المخاطبين به لعلهم يرجعون٧٤، ثانيا : لموضوعه لأن أبلغ موطن يخاطب به قول هو النفس ومكنوناتها خصوصا إذا تبين لأصحابها اطلاع الله تعالى على ما يخفون٧٥.

٨- قول معروف:

قال ابن فارس : العين والراء والفاء أصلان صحيحان يدل احدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة، فالأول : العرف : عرف الفرس ... والأصل الآخر المعرفة والعرفان، نقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه»٧٦.

ويقول ابن منظور : «والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب غليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف : النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك»٧٧.

وتذكر مصادر الوجوه والنظائر للفظ «المعروف» في القرآن الكريم ثمانية أوجه هي: التوحيد، إتباع النبي صلى الله عليه وسلم، القرض، تزيين المرأة نفسها، التعريض بالخطبة، القول الجميل، ما تيسر للإنسان في العادة، الوعد الحسن٧٨. و«المعروف» عند الراغب «اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه»٧٩ وبهذا التعميم تنطلق الكلمة لتشمل الأوجه التي ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر، والكثير الكثير مما لم يذكروه، لأن ما فعلوه ليس تحديدا للدلالة اللغوية، وإنما هو تأويل للفظ بحسب السياق٨٠.

وقد ورد «المعروف» في القرآن الكريم في ثمانية وثلاثين موضعا تنتمي ثلاثة مواضع منها فقط إلى القرآن المكي، ووقع صفة للقول في ستة مواضع منها تنتمي كلها إلى القرآن المدني٨١. ولا يتسع المقام هنا للتفصيل في القول المعروف للأرملة المعتدة الوارد في قوله تعالى «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا»٨٢، أو القول المعروف للمحتاج الذي ورد في قوله تعالى : «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم»٨٣. فقد وردت بعد التنويه باللذين ينفقون في سبيل الله دون من ولا أذى سواء كان بالإشارة أم بالكلام أم بالعمل حيث بشرهم الله تعالى بالأجر العظيم. وكذلك القول المعروف تجاه من في قلبه مرض الوارد في قوله تعالى: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا»٨٤.

القول المعروف، إذاً في مرتبة الحصن لغيره من الأعمال بخلاف المنّ الذي قد ينسف أجر أعمال عظيمة سبقته. كما أن المن عموما لا يصدر إلا في مواطن المقابلة بعدم العرفان، أو الخطأ في حق المتفضل بالخير، فيدفعه ضعف حلمه إلى المن باللسان أو الأذى بغيره من الجوارح. للقول المعروف إذن وظيفتان: جبر كسر النفس، وتحصين العمل من البوار.

والملاحظ إجمالا أنه حيثما التقى القول بلفظ المعروف كان الغرض من القول جبر كسر بحالة ضعف في أرملة أو محتاج أو سفيه أو ضعيف من ذي القربى أو ذي مرض في قلبه محتاج إلى إعانة للتغلب على ضعفه ومرضه،

أو حاجة في الأمة إلى سند لولي أمرها في مواجهة عدوها بالطاعة والقول بالمعروف.

ويصير بهذا القول المعروف هو ذلك الكلام الذي يصدر من كيان استحضر وضع الضعف في المخاطب واهتدى إلى مكامن الجبر فيه، وعمل على مواساته وإخراجه من حاله التي هو فيها بالتعريض أو تلافي المنّ أو الإغداق أو صرامة القول أو صدقه.

٩- قول طيب:

قال ابن فارس: «الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث٨٥. من ذلك الطيب ضد الخبيث»٨٦.

وقال الراغب. «وأصل الطيب ما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس... والطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال»٨٧.

وقد وصف القول بهذه الصفة في موضع واحد ينتمي إلى القرآن المدني هو قوله تعالى. «وهدوا إلى الطيب من القول، وهدوا إلى صراط الحميد»٨٨.

ومقام الآية هو مقام حديث عما يلقاه المؤمنون العاملون للصالحات من جزاء، حيث يدخلهم الله عز وجل جنات تجري من تحتها الأنهار، ويتزينون بأساور من ذهب، وباللؤلؤ والحرير جزاء لما كان من اهتدائهم إلى أطيب الأقوال، وسيرهم في أحمد الطرق وأضمنها للنجاة.

الهداية إلى القول الطيب في الحياة الدنيا٨٩ إذن سبب لاستحقاق الجنة وما فيها من نعم، كما أن الهداية السابقة إلى صراط الله الحميد٩٠ أيضا سبب لهذا الفوز، وذلك أننا نجد حديثا عن مصير المشركين مباشرة في الآية التي تليها، مفاده أن سبب استحقاقهم العذاب هو كفرهم وصدهم عن سبيل الله٩١.

وسواء تعلق الأمر بالقول الطيب في الدنيا أو المحاورة الطيبة بين أهل الجنة في الآخرة٩٢ فإن اقتران القول الطيب بهداية الله عز وجل، وتعاطف هذه الهداية مع الهداية إلى صراط الله الحميد، ليدل دلالة واضحة على مكانة القول الطيب ورفعته، لأنه من اختصاص المؤمنين الطيبين الطاهرين الذين وفقهم الله لتحري أطيب الأقوال وأشرفها «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

كما يدل على أن الطيب من القول نعمة من نعم الله يصدق عليها ويجري عليها ما يجري على غيرها، فمنها نصيب الدنيا، يحيى به الإنسان على هدى وصراط مستقيم، ويُغمر في الآخرة من صنفها بأفضل منها، وكل النعم من مأكل ومشرب، وشهوة رغم ما وُجد منها في الدنيا تزداد طيبة في الآخرة، فيكون الجزاء من صنف العمل.

خاتمة:

لقد اختلفت أنظار العلماء وتأملاتهم في موضوع القول وتنوع معانيه في القرآن الكريم وقد تطرق لهذه الظاهرة فخر الدين الرازي فقال: «إن من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد وبيان الوعظ وبيان النصيحة وبيان الأحكام مختلطا بعضها ببعض، ليكون كل واحد منها مقويا للآخر ومؤكدا له» (التفسير الكبير:٣/٢٤). ويرى في موضع آخر من تفسيره وغير ذلك فيقول: «ليحمله ذلك على القبول والخضوع» (التفسير الكبير: ٣/١٧٥).

ومن هنا نصل إلى تعريف القول وفق معانيه الواردة في القرآن الكريم على أن المقصود بالقول هو: كل ما يولد فهماً لدى المخاطب بعد خروجه من الغيب إلى الشهادة ومن السر إلى الجهر عبر الوحي أو النطق باللسان أو التعبير بغيره٩٣، ويصدر من القائل أوالمبلغ عنه، وتتعدد أشكاله وصفاته وأصنافه٩٤.

الهوامش:

١ مقاييس اللغة/قول

٢ القاموس المحيط/قول-الإفصاح/القول

٣ «ويستعمل في الخيل والإبل والشجر وغيرها ... وأصله في الناس» لسان العرب/كرم

٤ وفي القاموس المحيط/كرم «الكرم ضد اللؤم»

٥ مقاييس اللغة/كرم

٦ لسان العرب /كرم

٧ نحو قوله تعالى: «إن ربي غني كريم» (النمل: ٤١)

٨ قال تعالى : «أنبتنا فيها من كل زوج كريم» (الشعراء : ٦)، «وزروع ومقام كريم» (الدخان : ٢٥)» إنه لقرآن كريم» (الواقعة : ٨٠)

٩ المفردات في غريب القرآن/ كرم، وبصائر ذوي التمييز ٤٤٣/٤

١٠ هذه الموارد نزلت آياتها قبل نزول الآية التي وصف فيها القول بالكرم

١١ هذه الموارد نزلت آياتها بعد نزول الآية التي وصف فيها القول بالكرم وهناك ألفاظ تكرر وصفها بالكرم مثل « الزوج والرسول والمقام والأجر»

١٢ هذا الموضع هو قوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما» (الإسراء: ٢٣).

١٣ روح المعاني: ٥٦/١٥، وقال ابن العربي: «وأمران يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم من كل عيب من عيوب القول، المتجرد عن كل مكروه من مكروهات الأحاديث.

١٤ « واليسرات : القوائم الخفاف، ويقال فرس حسن التيسور أي حسن نقل القوائم» مقاييس اللغة/يسر وفي القاموس المحيط/يسر «واليسير : القليل الهين»

١٥ «تيسر الشيء واستيسر : تسهل وسيره سهلة» لسان العرب/يسر «ويقال رجل يسر ويسر أي حسن الانقياد» مقاييس اللغة/يسر و «ياسره : لاينه» القاموس المحيط/يسر

١٦ «واليسار الغنى» مقاييس اللغة/يسر واليسر السهولة والغنى، «واليسر يسار أو يسرا صار ذا غنى» القاموس المحيط / يسر «... ومن الباب يسرت الغنم إذا كثر لبنها» مقاييس اللغة /يسر.

١٧ مقاييس اللغة /يسر

١٨ لسان العرب /يسر

١٩ لسان العرب – ق /يسر

٢٠ انظر المفردات في غريب القرآن /يسر

٢١ الموضع الاول قوله تعالى : «وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا» الاسراء /٢٨

٢٢ روح المعاني ٦٤/١٥

٢٣ التحرير والتنوير ٨٣/١٥

٢٤ يقول تعالى «وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا» الاسراء /٢٦

٢٥ يقول الطاهر بن عاشور : «إن سألك أحدهم عطاء فلا تجبه إليه، او ان لم تنتقدهم بالعطاء المعروف فتباعدت عن لقائهم حياء منهم ان تلاقيهم بيد فارغة فقل لهم قولا ميسورا» التحرير والتنوير ٨٢/١٥.

٢٦ قال الطاهر بن عاشور : والقول اليسر هو الكلام الحسن وصف باليسر المعنوي لكونه لا يثقل سماعه التحرير والتنوير وقال الالوسي : «أي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ٢٦/١٦ ذا يسر، وأطلق عليه المصدر مبالغة» روح المعاني ٣٥/١٦.

٢٧ قال ابو حيان معلقا على قول ذي القرنين وتأدبه مع الله عز وجل وما أحسن مجيء هذه الجمل لما ذكر ما يستحقه من ظلم بدا بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم، وهو قوله : فسوف نعذبه ثم أخبر بما يلحقه آخرا يوم القيامة وهو تعذيب الله إياه العذاب النكر ولأن الترتيب الواقع هو كذا، ولما ذكر ما يستحقه من آمن وعمل صالحا ذكر جزاء الله في الآخرة وهو الحسنى أي الجنة لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله : «وسنقول له من أمرنا يسرا» البحر المحيط ١٦٠/٦.

٢٨ القاموس المحيط – لسان العرب – المفردات في غريب القرآن / لين – بصائر ذوي التمييز ٤٧٢/٤

٢٩ مقاييس اللغة / لين

٣٠ يقال : فلان لين وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طورا، ويذم به طورا، بحسب اختلاف المواقع». المفردات في غريب القرآن / لين.

٣١ وهي مرتبة بحسن نزولها على النحو التالي : طه ٣ ٤. سبأ : ١٠. الزمر : ٢٢. آل عمران :١٥٩. الحشر : ٥.

٣٢ هو قوله تعالى : «اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» (طه : ٤٢-٤٣)

٣٣ واختلف في معنى قوله «لعله» في هذا الموضع «فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : فقولا له قولا لينا، فانظر هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ... وقال آخرون : معنى «لعل» ههنا «كي» ووجهوا معنى الكلام إلى «اذهبا على فرعون إنه طغى فادعواه وعظاه ليتذكر ويخشى ... ولكلا

هذين القولين وجه حسن ومذهب صحيح» جامع البيان ٢١٢/١٦-٢١٣.

والترجي بالنسبة لهما إذ هو مستحيل وقوعه من الله عز وجل : «أي اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه» الكشاف ٥٣٨/٢، البحر المحيط ٢٤٤/٦ ، روح المعاني ١٩٥/١٦.

٣٤ مختار الصحاح – لسان العرب – تاج اللغة - /حسن.

٣٥ مقاييس اللغة/حسن

٣٦ تهذيب اللغة/حسن

٣٧ دستور العلماء ٣٤/٢ وفي التعريفات: ٨٧، «الحسن هو كون الشيء ملائما للطبع كالفرح، وكون الشيء صفة كمال كالعلم، وكون الشيء متعلق المدح كالعبارات. والحسن ينقسم إلى قسمين : الحسن لمعنى في نفسه وهو عبارة كما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في ذاته، الحسن لمعنى في غيره»

٣٨ البقرة : ٨٢ والآية كاملة هي : «وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون»

٣٩ قوله تعالى: « فبشر عبادي اللذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب «الزمر ١٦-١٧» وقوله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين» فصلت ٣٢.

٤٠ يقول الطبري : «فبشر يا محمد عبادي اللذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد» جامع البيان : ٢٤٥/٢٣

وقال الطاهر بن عاشور «نعدل عن الإتيان بضميرهم» كأن يقال فبشرهم إلى الإظهار باسم العباد مضافا إلى ضمير الله تعالى أو بالصلة لزيادة مدحهم بصفتين أخريين وهما : صفة العبودية لله أي عبودية التقرب، وصفة استماع القول وإتباع أحسنه» التحرير والتنوير ٣٦٥/٢٣.

٤١ يقول أبو حيان «الذين يستمعون القول، وهو عام في جميع الأقوال فيتبعون أحسنه ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الأحسن» البحر المحيط ٤٢١/٧.

٤٢ «ومن أحسن قولا أي لا أحد أحسن قولا» البحر المحيط ٤٩٧/٧

وقال الطاهر بن عاشور :«ومن» استفهام مستعمل في النفي أي لا أحد أحسن قولا من هذا الفريق» التحرير والتنوير : ٢٨٥/٢٤.

٤٣ «ومن» فيه تفضيلية لاسم «احسن» والكلام على حذف مضاف تقديره ك من قول من دعا إلى الله «التحرير والتنوير ٢٨٦/٢٤

٤٤ مقاييس اللغة / ثبت وفي لسان العرب /ثبت «يقال للجراد إذا رز أذنابه ليبيض ثبت وأثبت وثبت، ويقال : ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتا، فهو ثابت : إذا أقام به»

٤٥ معجم ألفاظ العلم والمعرفة ثباتا ... ورجل ثبت وثبيت في الحرب وأثبت السهم ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال: فلان ثابت عندي ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة» مف/ثبت

٤٦ المفردات في غريب القرآن / ثبت – بصائر ذوي التمييز ٣٤٧/٢ – معجم ألفاظ العلم والمعرفة ص:٧٦.

٤٨ نفسه

٤٨ قوله تعالى : «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» إبراهيم ٢٩

٤٩ قوله تعالى : «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء» إبراهيم ٢٦

٥٠ صفة الثبات أو الاجتثاث مرتبطة بصفة الطيبوبة أو عدمها لا بعظم الجذور وطولها.

٥١ «إليه يصعد الكلم الطيب».

٥٢ مقاييس اللغة/ صوب وفي لسان العرب، تاج اللغة، القاموس المحيط، مختار الصحاح، المصباح المنير/صوب «والصواب ضد الخطأ»

٥٣ «والصوب : القصد كالإصابة، قال الأصمعي يقال أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب معناه، انه قصد الصواب وأراده فاخطأ مراده ... وإنه لسهم صائب أي قاصد ... والإصابة الإتيان بالصواب ... والإصابة أيضا إرادته، وأصاب في

قوله وأصاب القرطاس ... إذا لم يخطئ» تاج اللغة/ صوب.

٥٤ «وأصاب جاء بالصواب، وأصاب أراد الصواب» لسان العرب/صوب

٥٥ جاء في كشاف اصطلاحات الفنون/ ١٠٩٨ والكليات /٥٥٨، «والصواب هو الأمر الثابت في نفس الأمر الذي لا يسوغ إنكاره»

٥٦ المفردات في غريب القرآن / صوب، وبصائر ذوي التمييز ٤٤٧/٣.

٥٧ النبا : ٣٨

٥٨ واختلف المفسرون في المراد بالروح على أقوال : «ابن عباس : أرواح بني آدم الحسن وقتادة : هم بنو آدم الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك : هو جبريل»

مختصر ابن كثير : ٥٩٤/٣ . ون : البحر المحيط : ٤١٥/٨ – روح المعاني : ٢٥/٣٠-٢٦ والتحرير والتنوير : ٥١/٣٠-٥٣...

٥٩ وفي آية أخرى : «يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه» هود : ١٠٥

٦٠ لان المقام لم يعد يحتمل أو يتحمل الإذن بالخطأ لأنه يوم فصل يحتاج فيه إلى القول الفصل رعى الله فيه صوابه وأذن فيه.

٦١ لا يتحرك فيها كيان قائل إلا بنفخة من روح الله تجري الصواب على مطية القول بسابق علم من الله بصوابه، وتوفيق منه لصوابه.

٦٢ فالله تعالى لن يأذن للمتكلم بغير الصواب، كما أن الإذن بالكلام في هذا الموطن دليل على صوابه، خاصة وأن مضمون الكلام هو الشفاعة أو الثواب والعقاب بدليل قوله تعالى : يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان ورضي له قولا» طه : ١٠٦

٦٣ لسان العرب/بلغ، اقتصر على هذا المعنى : «بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى»

٦٤ مقاييس اللغة – القاموس المحيط – مختار الصحاح – تاج اللغة- الصحاح- المصباح المنير- المفردات في غريب القرآن /بلغ

٦٥ مقاييس اللغة / بلغ وفي القاموس المحيط و تاج اللغة / بلغ : «التبليغ النصيح الذي يبلغ بعبارته كنه ضميره»

٦٦ مختار الصحاح – تاج اللغة – الصحاح – لسان العرب –/بلغ

٦٧ انفرد صاحب الكليات وصاحب الكشاف بالتنبيه على أن البلاغة «اخص من الفصاحة» وذلك أن الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط، وأما بلاغة الكلام فمطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته وإما بلاغة المتكلم فملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ» كل/ بلغ «فالبلاغة بمعنييها اخص مطلقا من الفصاحة فكل بليغ كلاما كان أو متكلما فصيح ولا عكس» كشاف اصطلاحات الفنون : ١٩٨/١-١٩٩

٦٨ الكليات /بلغ

٦٩ المفردات في غريب القرآن – تاج اللغة –/ بلغ.

٧٠ النساء :٦٢

٧١ «والإعراض هو منزلة بين الإدبار والمواجهة « قواعد التدبر : ١٦٥ وقد فسر بعدم المعاقبة وعدم التعنيف (تفسير ابن كثير ٤٦١/١ – المحرر الوجيز : ١٦٤/٤ – الكشاف : ٥٣٧/١ – جامع البيان ١٠٨/٥

٧٢ والوعظ: «الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق» التحرير والتنوير : ١٠٨/٥.

٧٣ لأن الغرض مرتبط أساسا بصلاح الأنفس وتطهيرها من النفاق.

٧٤ يقول الطاهر بن عاشور : «وذلك إبلاغ لهم في المعذرة ورجاء لصلاح حالهم، شأن الناصح الساعي بكل وسيلة إلى الإرشاد والهدى» التحرير والتنوير : ١٠٨/٥

وقال ابن كثير : «انصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم» تفسير ابن كثير ٤٦١/١ وقال ابن عطية : «والقول البليغ اختلف فيه فقيل هو : الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول، وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق» المحرر الوجيز ١٦٤/٤.

٧٥ يقول الطاهر بن عاشور «ويجوز أن يتعلق قوله «في أنفسهم» بفعل «قل لهم» أي قل لهم قولا في شأن أنفسهم، فظرفية (في) ظرفية مجازية شبهت أنفسهم بظرف للقول «التحرير والتنوير ١٠٨/٥.

ويقول الزمخشري : «أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا، وان الله يعلم ما في قلوبكم، لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه، فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها

من مرض النفاق» الكشاف : ٥٣٧/١.

٧٦ مقاييس اللغة /عرف: وفي لسان العرب / عرف : والمعروف ضد المنكر.

٧٧ لسان العرب / عرف

٧٨ الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم : ص : ١٨٥

٧٩ المفردات في غريب القرآن / عرف

٨٠ الاشتراك اللفظي : ص ١٨٥.

٨١ هذه المواضع هي بحسب ترتيب النزول : البقرة : ٢٢٦, ٢٣٣ الاحزاب : ٣٢ – النساء : ٥ ,٨ – محمد : ٢٢.

٨٢ البقرة : ٢٣٣.

٨٣ البقرة : ٢٦٢.

٨٤ الأحزاب : ٣٢.

٨٥ لسان العرب – القاموس المحيط – تاج اللغة / طيب تهذيب الصحاح / طيب

٨٦ جاء في لسان العرب ، إلا انه قد تتسع معانيه فيقال أرض طيبة للتي تصلح للنبات، وريح طيبة إذا كانت لينة ليست شديدة ... وامرأة طيبة إذا كانت حصانا عفيفة، وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيبة أي آمنة كثيرة الخير

٨٧ المفردات في غريب القرآن / طيب و ن بصائر ذوي التمييز ٥٣١/٣-٥٣٢.

٨٨ الحج: ٢٢

٨٩ قال الطبري: «وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة لا إله إلا الله ... قال ابن زيد: هدوا إلى الكلام الطيب...» جامع البيان ١٧٩/١٧

٩٠ قال الطبري: «وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد، وطريقه: دينه، دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه، والحميد فعيل صرف من مفعول إليه» جامع البيان ١٧٩/١٧.

٩١ قال تعالى: «إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» الحج: ٢٣

٩٢ قال الألوسي: «وحاصل ما قالوه هنا أن الهداية تحتمل أن تكون في الآخرة، وتحتمل أن تكون في الدنيا» روح المعاني ١٣٧/١٧

وقال الزمخشري: «وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده، وهداهم إلى طريق الجنة» الكشاف ١٠/٣ و ن: التحرير والتنوير ٣٤/١٧ وفي الأساس في التفسير ٣٥٤٠/٧: «ويحتمل أن يكون المعنى: وهدوا في الآخرة إلى القول الطيب حتى لا يقولوا إثما ولا يقولوا إلا ذكرا وسلاما، وهدوا إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم».

٩٣التعبير بغيره: الملامح، التكنولوجيا وغير ذلك

٩٤ لقد روعي في هذا التعريف مجموع ما أمكن استخلاصه من مجموع الآيات .